صفحة تصدر بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية
E-mail:iraqipa@ hotmailiom.com

الانترنيت النفسي

الأنفلونزا ترفع من نسبة الإصابة بفصام الشخصية

فصام الشخصية أو فصام العقل (الشيزوفرينيا) تناثره إلى أشلاء ممزقة غريبة عن بعضها ، هو مرض كل العصور ، ما برح يتحدى الطب النفسي وكل النظريات النفسية والاجتماعية والتربوية التي حاولت الإحاطة به . يرى فيه البعض صرخة البيولوجيا اليائسة بوجه الاستلاب والكراهية والعنف . فالفصامي لا يرى في عالمنا الواقعي ما يستحق التعاطف معه والانتباه إليه والتمسك به ، فيؤسس (هروباً واضطراراً) عالمه الداخلي الصامت والمتناقض في معماريته بصورة جوهرية مع بنى عالمنا الاجتماعي ، وكأن ثمن الحرية التي نالها أخيراً هو فقدانه لتماسك العقل ، إذ يؤكد الطبيب النفسي الهنغاري (شتيفان بنديك) في كتابه الشهير (الإنسان والجنون) : ((إن جوهر الفصام يكمن في الحنين إلى الحرية)) .

والفصام مصطلح إغريقي الأصل معناه ((انشطار العقل)) ، أدخله في العصر الحديث عالم التحليل النفسي السويسري (يوجين بلولير)، بعد أن كان يعرف فيما مضى (في اللغة اليومية الدارجة وحتى في لغة القانون والأدب) بـ ((الجنون)) أو ((الخبل)) . كما يسمى أحياناً بـ ((فصام الشخصية)) أو تفكك الذات ، أي تشتت وتناثر مكوناتها و أجزائها إلى الحد الذي تصبح فيه عناصر التفكير والانفعال منفصلة عن بعضها لا رابطة تشدها نحو التنسيق فيما بينها . فالفصاميون يشعرون انهم مقطوعو الصلة عن سائر البشرية انقطاعاً أساسياً ، فلا ينجحون في التعبير عن عواطفهم (لفظياً وسلوكياً) بطرقة معقولة لمعظم الآخرين ، فيبدو عليهم الخواء واللامبالاة والتبلد . وتضطرب لديهم الإرادة وتضعف فيصابون بالتردد وعدم القدرة على اتخاذ القرارات . وقد يشكون أن أفكارهم ليست لهم ، وانهم محكومون بقوى خارجية (غير مرئية) تسيّر حياتهم ، فتراودهم هلاوس Hallucinations بصرية وسمعية مصحوبة باعتقادات وهمية Delu-sions . كما يتسم سلوكهم بالذاتية المطلقة والانطواء ، والاستغراق في أحلام اليقظة ، ونقص الميول والاهتمامات ، والاستسلام لمشكلات الحياة ، واضطراب العلاقات الشخصية واضطراب الاتصال الاجتماعي ، وفقدان الاهتمام بالبيئة وبالمظهر الشخصي . والفصاميون يتميزون في العادة بلوازم حركية لا سيما في حركات الوجه واليدين ، وبأوضاع جسمية شاذة قد تستمر لأوقات طويلة، وبتقليد حركات الآخرين (المحاركة) والنمطية والجمود أحياناً . أما العامل الذي يجمع كل هذه الأعراض فهو أن الفصامي لا يكون مدركاً بهذا المرض ، أي فاقداً للبصيرة والقدرة على الاستدلال على حقيقة حالته . وهناك خطأ شائع بقوة بين العامة مفاده أن الفصام (الشيزوفرينيا) هو مرض ((تعدد الشخصيات))، فالصواب أن الفصام هو تفكك الشخصية وتناثرها واضمحلالها وليس تعددها . أما تعدد الشخصية Multiple Per-sonality فذلك اضطراب عقلي آخر له أسبابه وأعراضه الخاصة به .

ويحتدم الجدال اليوم بين أنصار الوراثة و أنصار البيئة في تحديد أسباب نشوء الفصام على الرغم من وجود تيار ثالث يقف بينهما . فأنصار الحتمية البيولوجية يذهبون إلى أن هناك عاملاً وراثياً متنحياً يرثه الفرد يهيئه للفصام ، أي أن مرض الفصام نفسه لا يورث ، ولكن الذي يورث هو استعداد الفرد للإصابة به إذا تجمعت الأسباب البيئية والنفسية والبيولوجية الأخرى . أما أنصار الحتمية الاجتماعية فيعزون الفصام إلى الصراعات النفسية الحادة و إحباطات البيئة والعلاقات العائلية المضطربة والتغيرات الثقافية والحضارية العنيفة والكوارث الاجتماعية من فقر ومجاعات وحروب . ويقف على رأس الاتجاه الحتمي المتطرف (ميشيل فوكو)الذي يرى ((ان كل صنوف الأمراض النفسية اختراع تأريخي أو تعبير عن علاقات السلطة داخل المجتمع ....فكل المجتمعات تتطلب وجود صنف من الناس يمكن جعلهم أكباش فداء ، وقد احتل المجانين مكان هذا الصنف عبر القرون)) .

بمعنى أكثر تحديداً ، فأن الفصام (الجنون) طبقاً لهذه النظرة ليس حالة خاصة بالفرد و إنما هو تعريف اجتماعي يرغب المجتمع في تطبيقه على جزء من سكانه .

أما النظرة التي توظف البعدين الوراثي والاجتماعي معاً لفهم جذور الفصام ، فترى أن الإنسان وحدة بيولوجية اجتماعية متكاملة ، وان التبدلات العقلية المرضية التي تحصل بفعل العوامل الاجتماعية لا بد أن تترك تأثيرها في تكوينه الوراثي بنسبة ما ، كما إن العوامل الوراثية المرضية الكامنة لا تجد تعبيراً لها إلا في بيئة اجتماعية محددة تسمح لها بالتحول من حالة الاستعداد الصامت إلى حالة الفعل الصريح . ولذلك تنحو الكثير من الدراسات الحديثة باتجاه يحاول تلمس أسباب الفصام برؤية أكثر تركيباً وجدلية ، بعيداً عن الافتراضات المتطرفة أحادية القطب . فقد توصلت مثلاً واحدة من هذه الدراسات إلى أن الإصابة بالأنفلونزا أثناء مدة الحمل تزيد من احتمال إصابة الوليد بفصام الشخصية مستقبلاً . وتم التوصل إلى هذه النتيجة من خلال أخذ عينات من دماء (٦٤) مريضاً مصاباً بالفصام ، و (١٢٥) شخصاً غير مصاب به ، ثم فحصها باستخدام الأجسام المضادة لتحديد من هم الأشخاص الذين سبق أن أصيبوا بالأنفلونزا أثناء مرحلة الحمل . وقد أوضحت النتائج الإحصائية أن الإصابة بالأنفلونزا أثناء النصف الأول من مرحلة الحمل يزيد من احتمال الإصابة بالفصام لاحقاً ، إذ تبين أن (١٤٪) من الفصاميين سبق لهم أن أصيبوا بالأنفلونزا أثناء المرحلة الجنينية . إلا أن الدراسة لم تتوصل إلى تحديد دقيق لطبيعة العلاقة السببية بين فيروس الأنفلونزا ومرض الفصام ، ولكنها أشارت إلى احتمال أن الفيروس يمارس تأثيرات غير مباشرة تتمثل بتحفيزه الجسم لاطلاق مواد كيميائية معينة لها دور في نشوء الفصام في الكبر . ولذلك فما دامت الرابطة الكامنة بين المرضين لم تتضح بعد بشكل كامل ، فلا ينصح القائمون بهذه الدراسة الأمهات بتعاطي لقاح ضد الأنفلونزا أثناء الحمل بسبب تأثيراته المؤذية المحتملة على الجنين .

تمثل هذه الدراسة أنموذجاً لكم هائل من الدراسات الحديثة التي تحاول استكشاف الاحتمالات الظاهرة أو الكامنة على حد سواء لأسباب الفصام . إلا أن نظرية علمية متماسكة في هذا الميدان ما تزال بعيدة نسبياً عن متناول الطب النفسي وعلم النفس ، إذ يبدو أن هناك حاجة ملحة لتحقيق فهم أعمق لمفهوم العلاقة بين الجسم والعقل . وللاقتراب من هذه المنطقة الغامضة ، لا بد للإنسان أن يفتش عن إدراك اعمق لجدلية العلاقة بين ما هو بيولوجي وما هو اجتماعي .

في استطلاع شمل أهالي الأعظمية والكاظمية

العراقيون يرون أنفسهم أكثر عنفا من الشعوب الأخرى

أجرت الجمعية النفسية العراقية استطلاعاً للرأي شمل عينة عشوائية من أهالي الأعظمية وأهالي الكاظمية،تضمنت(٢٠٠) فرد من الجنسين ومن مختلف المهن والأعمار والمستويات التعليمية.وقام بجمع البيانات الباحث(عادل صادق جبوري) .وقد أوضحت النتائج وجود تقارب شديد بين مواقف أهالي المنطقتين نحو العديد من التطورات السياسية الراهنة، وعلى النحو الآتي:

كيف تريد أن يكون الحكم في العراق:جمهوري أم ملكي؟

اتفق (٧٥٪) من عينة أهالي الاعظمية والكاظمية على أن يكون نوع الحكم في العراق جمهورياً،مقابل حوالي (٧٪) فضلوا أن يكون ملكياً.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة سابقة أجريت على أساتذة الجامعة قبل حوالي (٨) أشهر،إذ فضل (٦٨٪) منهم الحكم الجمهوري.وهذا يعني أمرين:الأول إن الشرائح المثقفة والعامة من المجتمع العراقي تريد أن يكون الحكم جمهورياً،والثاني إن هذا التفضيل (أي النظام الجمهوري) ثابت عبر الزمن.

كيف تريد أن يكون توجه الحكم في العراق:إسلامياً أم علمانياً؟

أفادت النتائج أن (٨١٪) من أفراد العينة من أهالي الأعظمية والكاظمية،يريدون أن يكون توجه الحكم في العراق إسلامياً،مقابل(٨٪) يريدونه علمانياً.

وتختلف هذه النتيجة مع الدراسة السابقة التي أجريت على أساتذة الجامعة،إذ فضل (٤٦٪) منهم التوجه العلماني.وقد يعود سبب ذلك إلى أن المثقفين يفضلون التوجه العلماني بالمقارنة مع العامة من الناس،أو/ و أن ممارسة القوات الأمريكية للعنف والقسوة مع العراقيين يدفع الناس إلى الاحتماء بالدين ليتوحدوا تحت رايته.ما المدة التي تراها مناسبة لبقاء القوات الأجنبية في العراق؟

يرى حوالي نصف أفراد العينة من أهالي الأعظمية والكاظمية أن تغادر القوات الأجنبية في الحال،فيما رأى النصف الآخر منهم أن تبقى بين (٦) أشهر إلى سنة.

قد يعود السبب الخاص بمغادرة القوات الأجنبية في الحال،إلى أن في بقائها إهانة لكرامة العراقيين وإثارة للفتن والعنف.فيما يعود سبب من يريد بقاءها لسنة تحسباً من الاقتتال الداخلي وانفلات الأمن أكثر.

ما رأيك بالأعمال التي تستهدف قتل الجنود الأمريكيين؟

اتفق (٥٤٪) من أفراد عينة الدراسة على أن قتل الجنود الأمريكيين يعد ((مقاومة وطنية)).ومع أن نسبة (٢٤٪) و(٢٢٪) منهم يرون أن هذه الأعمال بين إرهابية وإجرامية،إلا أن اللافت هو أن نسبة من كان يؤيد قتل الجنود الأمريكيين في دراسة أجريت قبل حوالي ثمانية أشهر،كانت بحدود (٢١٪).وهذا يعود إلى أساليب العنف التي اتبعتها القوات الأمريكية في تعاملها مع العراقيين لا سيما في الفلوجة والنجف وكربلاء والكوفة وأساليب تعذيب السجناء في سجن (أبو غريب)،مما أدى إلى تزايد النقمة ضدها.

هل تؤيد تعددية الأحزاب في الوقت الحاضر؟

عبّر (٤٨٪) من أفراد عينة الاستطلاع عن رفضهم لتعددية الأحزاب،فيما أفاد (٢٢٪) منهم عن تأييدهم لهذه التعددية،و(٣٠٪) عن عدم وجود موقف محدد لديه من هذه القضية.ولعل السبب في هذا الرفض الملفت للنظر يعزى إلى أن الظهور المفاجيء لهذا العدد الكبير من الأحزاب العلنية في العراق قد ترافق مع حالة عدم الاستقرار السياسي المرتبطة بصراع الآراء والأيدلوجيات والمواقف،وهي معطيات لم يألفها الشارع العراقي بعد عقود من حكم الفرد الواحد والفكر الواحد.فأصبحت التعددية الحزبية لديه مقترنة بفقدان الأمن و بالتشرذم المجتمعي وبالقلق نحو حاضر البلاد ومستقبلها.

إذا تصفحت تاريخ العراق،فكيف تجد العراقيين في ممارستهم للعنف ضد بعضهم البعض؟

أشارت النتائج إلى أن (٦٦٪) من عينة الأعظمية والكاظمية يعتقدون أن العراقيين يتفوقون على الشعوب الأخرى في عنفهم تجاه بعضهم البعض،فيما أفاد (٢٤٪) منهم أن العراقيين يشبهون الشعوب الأخرى في ذلك.ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء واحد من احتمالين: فإما إن أفراد العينة لديهم تصورات مسبقة (سبقت الأحداث السياسية بعد نيسان ٢٠٠٣م) عن وجود سمات للعنف في الشخصية العراقية عززتها الأوضاع الحالية،وإما أن هذه التصورات هي وليدة حالة الانفلات الأمني وشيوع الجريمة في الوقت الحاضر.إلا أن كلا الاحتمالين على حد سواء يؤشر على وجود صورة نمطية سلبية في أذهان العراقيين عن أنفسهم.

ما الذي يحكم الإنسان العراقي : القوة أم العقل ؟

لؤي خزعل العمشاني

(العراقي لا تحكمه إلا القوة): مقولة شائعة يرددها الشارع العراقي في حواراته اليومية العادية،لكن ما حظ هذه المقولة من الصواب والموضوعية ؟ هذا ما ينبغي أن يطرح على صعيد البحث العلمي إذ إن الإقرار المتسرع بمضمونها يؤدي إلى نتائج خطيرة على المستويين النفسي والسياسي على حد سواء.فعلى الصعيد النفسي يمكن لهذه المقولة أن تشكل فكرة خاطئة توجه سلوك الفرد باتجاه خاطئ نتيجة ما تشيده من بنية معرفية مشوهة تنعكس على تعامله مع جزئيات الحياة اليومية مبلورة أسلوب حياة منحرف.أما على الصعيد السياسي فأنها توجد مبرراً لخطايا النظام السابق وتظهره بمظهر المتسق في سياسته مع طبيعة المجتمع،كما أنها تقود إلى أيجاد نظم ومؤسسات سياسية تعمل وفق آلية العنف والقمع من جديد،مما يهدد مستقبل هذا الشعب الذي يتطلع إلى حياة كريمة مسالمة .

تثير هذه المقولة سؤالين يعبران عن قضيتين جوهريتين:

١- هل إن خاصية (عدم الانقياد إلا بالقوة) خاصية (متأصلة) أم (مرحلية) في شخصية الفرد العراقي؟

٢- هل يمكن تغيير هذه الخاصية،ليصبح الفرد العراقي مستجيباً لأساليب التوجيه والتنشئة ذات المضامين السلمية والعقلانية؟

أن السؤال عما إذا كانت هذه الخاصية –أي عدم الانقياد إلا بالقوة –موجودة أم لا لدى العراقيين، فهذا لم يعد يتطلب إثباتاً. فالساحة العراقية تعانى بوضوح مما يمارسه أصحاب هذه الخاصية من عدم احترام القانون كالتجاوزات على الشارع من قبل الباعة وعدم الالتزام بالقوانين المرورية،الأمرين اللذين خلقا وضعا كارثياً صار يعذب كل من يخرج إلى الشارع، ناهيك عن الأعمال الإجرامية التي انتشرت بشكل مروع في الآونة الأخيرة كالقتل والتسليب والاختطاف والاغتصاب ومشاهد أخرى كثيرة.

ولكن لكي نسمي أي خاصية نفسية بأنها متأصلة في جماعة معينة فإنها ينبغي أن تظهر لدى جميع الأفراد المنتمين إلى تلك الجماعة دون استثناء،في حين نجد أن في المجتمع العراقي شريحة برهنت في سلوكياتها والتزاماتها على تمسكها بالقيم النبيلة،ولم تستدرج في كل الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي تعرض لها هذا المجتمع خلال العقدين الماضيين إلى أي ممارسات تتنافى مع ما تحمله من رؤية إنسانية.ففي قمة انعدام النظام والقانون عقب الحرب الأخيرة واندفاع بعض الأفراد للسلب والنهب والحرق في بغداد،وخلو الساحة من أي شكل من أشكال السلطة أو العقاب أو الردع ،كان أفراد هذه الشريحة رغم معاناة الكثير منهم من تردي الحالة الاقتصادية يتعففون عن الاشتراك في مثل هذه الأعمال انطلاقاً من اعتبارات قيمية طوعية تختزن في عمقها الضمير بوصفه ضابطاً داخلياً يرتكز على العقل في حركته المستقيمة نحو الصواب.كما إن ملامح الصبر التي تبدو اليوم على وجوه الكثيرين من أفراد المجتمع العراقي وتطلعهم إلى مستقبل افضل في ظل هذه الظروف الخانقة وأيمانهم بفاعلية الأساليب العقلانية في حل الأزمات وتعدى المحنة،فضلاً عن استهجان الأعمال الإجرامية والممارسات المضادة للاستقرار والتماسك الاجتماعي الذي يبديه الكثير من أفراد هذا المجتمع،كلها مؤشرات على تجذر هذه الشريحة وإن كانت مغيبة بعض الشيء نتيجة طبيعة تعاملها الهادئ مع الأشياء الذي لا يلفت الأنظار مقارنة بالسلوك المتعجرف،فضلاً عن أن تسليط الإعلام لأضوائه بشكل مكثف يكاد يقتصر على النمط المنحرف،في تخطيط منظم –كما اعتقد –يستهدف إبراز الفرد العراقي أمام نفسه وأمام المجتمع الدولي بصورة الإنسان البدائي البربري الذي لا يمتلك مقومات الفرد المتحضر ولا يساق إلا بالعصا.وكل ذلك يقودنا إلى القول أن خاصية عدم انقياد العراقي إلا بالقوة،لا تعدو كونها خاصية(مرحلية) لم تجد لها تأصيلاً لدى جميع شرائح المجتمع العراقي.

والأحرى بنا أن نتساءل عن العوامل التي تقف وراء إيجادها،والتي يمكن أجمالها بعاملين:العامل الثقافي والعامل السياسي .فالثقافة مفهوم ينطوي على معاني متعددة كالمعتقدات والقيم والتقاليد وأساليب الحياة.ولذلك،فان التراكمات التاريخية في بنية المجتمع العراقي مهدت لظهور هذه الخاصية من خلال طرح أفكار ونماذج (ثقافة) تتخذ من العنف طريقا للوصول إلى الغايات،ومن تجاوز الحدود القانونية أسلوباً لحل المشكلات. فشاعت عبارات شعبية صار البعض يتداولها بوصفها أقوالاً مأثورة،مثل ((الدولة سهم الذليل)) و((العاجز يدوّر شهود))،وهي أقوال مشبعة بالتحريض أو الحث على اتباع أنماط عدوانية من السلوك الاجتماعي،والتي بالتأكيد لا يمكن السيطرة عليها إلا بالقوة.وهكذا حين ينشأ الفرد في محيط اجتماعي يروج لصور نمطية من هذا النوع،فانه لن يتعرف على صور أخرى مغايرة محتملة،أو إن هذه الصور الأخرى ستضعف لديه ولا تنجح في الانعكاس على سلوكه .

أما العامل السياسي فيؤدي هو الآخر دوراً أساسياً في تركيز خاصية الانقياد بالقوة.فالناس حينما يخضعون إلى أنظمة إرهابية لا تعرف إلا لغة السيف والسوط وتنفذ برنامجاً محكماً لتفتيت منظوماتهم القيمية،فانهم سيكبتون في دواخلهم عوامل الرفض والتمرد ومن ثم يحولونها إلى موضوعات ويسقطونها على رموز أخرى من اجل تفريغ توتراتهم الكامنة. وبما أن منظوماتهم القيمية غير مستقرة فسيستخدمون أسلوباً سلبياً مشوهاً للرد على الجهات التي سلطت عليهم ضغطا يتجاوز طاقتهم على التحمل.وهذا ما حدث للفرد العراقي خلال الحقبة السياسية السابقة.

ويبقى السؤال: هل يمكن تغيير هذه الخاصية ؟ البحث النفسي يؤشر إجمالاً إلى حقيقة مفادها أن الإنسان في صيرورة مستمرة وانه يمتلك القدرة على تغيير نفسه ومجتمعه.فباستخدام آليات التعلم المتنوعة يمكن تغيير مختلف أنماط السلوك غير المقبول و أعادته إلى إطار السلامة النفسية،لكن تغيير هذه الخاصية في المجتمع العراقي يحتاج إلى عمل جماعي مكثف وتطور تدريجي مرحلي على كل الأصعدة،إذ يتطلب تنشئة أجيال متعاقبة تتسم بالعقلانية من خلال وضع خطوات عملية يشترك فيها المجتمع بأكمله ويعمل على تنفيذها في مدة زمنية ليست بالقصيرة. ويزيد من فاعلية هذه الخطوات إشراف متخصصين في علم النفس وعلم الاجتماع على تسييرها .ويمكن تقديم التوصيات الآتية في سبيل إنجاز هذه الخطوات :

١.على المتخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية تكثيف جهودهم البحثية للتعرف على ابعاد هذه الظاهرة –أي عدم الانقياد إلا بالقوة –بهدف تقديم معلومات عن أسبابها وخلفياتها وآلياتها ومدى انتشارها،سعياً إلى تقليصها والحد منها .

٢.الحكومة القادمة يجب أن تنأى بسياستها الداخلية والخارجية عن أسلوب العنف .

٣. ينبغي لوسائل الإعلام أن تعمل على نشر الوعي العقلاني وأساليب الحوار الحضارية وبث القيم الإنسانية النبيلة وتسليط الأضواء على الجوانب المشرقة في المجتمع العراقي أسوة بالجوانب السلبية فيه .

٤.حث الأسرة العراقية على تنشئة أطفالها على أساس قيم العطف والتسامح وتقبل الآخر والحرية والمسؤولية .

٥.على المؤسسات التعليمية أن تعطي زخماً معرفياً يتضمن تطوير بنية الأفراد المعرفية وتحريكها في مسارات التفكير العقلاني.

٦. رجال الدين بوصفهم حملة رسالة إنسانية تختزن كل المعطيات النبيلة على صعيد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وبكل مفردات الواقع،عليهم أن يبشروا بالقيم الدينية السمحة الداعية إلى الأساليب الإنسانية في التعامل ،ويوجدوا من أنفسهم نماذج لهذه القيم لحمل الآخرين على التفاعل معها.

يتضح إذن أن مقولة : ((العراقي لا تنفع معه أو لا تحكمه غير القوة))،قابلة للدحض نظرياً وعملياً إذ تفتقر إلى المصداقية لأنها تستخدم أسلوب التعميم غير العلمي وغير المبرر،وهذا بذاته إحدى المشكلات التي تعاني منها الذهنية الاجتماعية العراقية العامة التي ينبغي أن توجه لتبني الأسلوب العلمي في التفكير والسلوك، لتتمكن من مواكبة التطور العالمي وتجاوز الإشكاليات المحلية التي ولدت وما تزال تولد الأزمات على مختلف الميادين .

السياسي والتعصب ونرجسية الخطاب

شوقي يوسف بهنام
جامعة الموصل

التعصب Prejudice هو التحيز مع أو ضد بعض الناس أو الآراء أو الأفكار .ومعنى هذا أن التعصب هو اتجاه،قد يأخذ قالب الجمود أو التطرف ضد معتقدات الآخر أو مواقفه.ولا نريد الدخول في إشكالية التعصب بوصفه ظاهرة نفسية اجتماعية لها تاريخها وآلياتها،بل بوصفه نمطاً من أنماط الشخصية أو بعداً من أبعادها.والأهم من هذا هو أن نتناول خصائص هذه الشخصية في المسار اليومي لحياة السياسي.والسياسة قبل أن تكون فن ترويض الآخر إذا انطلقنا من الجذر اللغوي لهذه المفردة،فهي أيديولوجيا،أي نسق من الأفكار،وهي فلسفة عامة لطبقة من الطبقات،تدين بها في فترة من فترات التاريخ،وتحرك سلوك أفرادها،أو هي مذهب شامل لنسبية تاريخية وثقافية.وبهذا المعنى،يكون السياسي صاحب فلسفة عن العالم والتاريخ والإنسان،أو صاحب موقف من هذه المفردات.وهذا يعني أن السياسي ليس أياً كان.وبلغة علم النفس هو صاحب قدرات في الذكاء،يفترض أن يمتلكها،لكي يكون مميزاً عن الآخرين.ونحن لا يهمنا أن نلج شخصية السياسي بهذا المنظور،قدر ما يهمنا أن ننظر اليها من زاوية مفهوم الذات Self-Concep،وبالتالي مفهوم الخطاب الذي تحمله هذه الذات،لأن الخطاب،أو قل الأيديولوجيا ما هي إلا ترجمة لمصالح هذه الذات وحاجاتها لأن لها موقفاً من العالم والتاريخ والإنسان.

عندما ينطلق السياسي من هذه النظرة إلى ذاته،وهو يحمل فكراً أو موقفاً تجاه ما حوله،فانه سوف يشعر بالامتياز والتفوق على الآخرين،لاسيما إذا كان سياسياً منظّراً وليس سياسياً تابعاً يمضي وراء إشباع حاجاته الآنية أو قصيرة الأجل.عندما يكون السياسي بهذا التصور،فان شعوره بالامتياز والتفوق هذا،سيجعله يتقولب في نمط سلوكي محدد،هو ترجمة،يمكن القول بأنها لا شعورية لذلك التصور الذي يحمله عن نفسه.ومن هنا تبدأ الإشكالية في حياته،سواءً على مستوى أنماط التفكير أو الاتجاهات أو المشاعر،أو على مستوى السلوك العملي بمجمل أبعاده ومسمياته.ونحن لا نريد أن ندخل في تفاصيل هذه الإشكالية بكل أنواعها،قدر ما نريد أن نتناول جانباً واحداً منها هو التعصب الذي بدأنا هذه السطور بأحد تعريفاته،إذ يمكن أن تعدّ نرجسية الخطاب شكلاً من أشكاله المتطرفة.ويمكن تحديد هذه الإشكالية سواءً على مستوى التفكير أو التصرف،بالموقف من الآخر.فالسياسي لا يعيش،مثل الفيلسوف في برج عاجي،على الرغم من أن أغلب النظريات السياسية كانت نتاجاً لعقول فلسفية عاشت بمنأى عن الواقع،بكل ما تحمله مفردة الواقع من معنى.

لكن ما جعلها تغزو قلوب الجماهير وليس عقولهم،هو حلمية هذه الأفكار وجماليتها.والسياسي بهذه المحصلة هو رجل يريد أن يترجم تلك الأحلام المقولبة بتلك الأفكار إلى وقائع حياتية يومية،أي انه مترجم وموظف وناقل لمفردات خطاب معين،يؤمن به،إلى أرض الواقع المعاش،ومتخذاً من نفسه أو من سلوكه أنموذجاً للحذو أو للاقتداء. ومن هنا تبدأ مشاعر النرجسية في التبلور لديه، ومن هنا أيضاً يبدأ التقولب السلوكي عنده،ومن ثم تتجلى صور الجمود وأشكال التعصب في مجمل تفاصيل حياته اليومية وأنماط سلوكه المختلفة،طبقاً لمفردات الخطاب الذي ينطلق منه.عندها يظهر الحاجز،ولاسيما المعرفي (بل قل الأيديولوجي،لأن الأيديولوجيا قالب محدد وذو نسق مغلق من التصورات والبناءات المعرفية) بينه وبين الآخر،وينسى السياسي،بل يتناسى من أجل حفظ صورة الذات لديه،أن للآخر خطاباً ينطلق منه أيضاً،ولديه موقف من المفردات نفسها،أعني من العالم والتاريخ والإنسان.

ولذلك فليس له الحق في أن يتصرف على خلاف هذه الحقيقة،أعني أن يزيد من سمك الجدار الذي أقامه وشيده ضد الآخر.

إن هذا الجدار هو سبب ظهور أشكال رفض واستلاب واضطهاد الآخر،وحتى قمعه إذا اقتضت الضرورة لذلك.تلك الضرورة تتجلى عندما يشعر السياسي أن هذا الآخر، أعني خطابه، أصبح نداً له وخطراً يهدد كيانه.وتتجلى هذه في فترة العمل السياسي السري،إذ يتقوقع السياسي حول تقوية روابط التنظيم،مع رفع الشعارات وتوزيع المنشورات الجدارية وإصدار صحف أو بيانات إذا تيسر ذلك بين الحين والآخر لاثبات مصداقية مفردات خطابه. ولكن ما أن يتوج ذلك الكفاح المفعم بالمطاردة والخوف من القمع،بما يسمى في لغة علم الاجتماع بـ((انقلاب الأدوار))، حتى يبدأ يمارس إزاء الآخر ما كان هذا الآخر يمارسه عليه.إذن المسألة من منظور نفسي ليست سوى ممارسة أدوار،انطلاقاً من مبدأ امتلاك زمام القوة.

ويتغيب الحوار أو الأشكال السلمية المناظرة له التي كان يمارسها،أو بتعبير أدق، تظاهر بممارستها،فيندفع لممارسة الدور الجديد الذي تمكن من تمثيله أدق تمثيل.وبهذه النتيجة،يكون السياسي قد شوه روح الخطاب وجوهره ، والذي كان يناضل من أجل نشر مفرداته وبناء تصوراته في أرض الواقع الذي كان يصفه بأنه واقع فاسد لا بد من الانقلاب والتمرد عليه وبنائه وفق التصورات التي انطلق منها.

فيبقى الجدار قائماً بينه وبين الآخر،في كل مراحل حياته،لا لشيء إلا لأنه قد أهمل تلك الحقيقة التي تجاهلها في باديء الأمر،وهي أن للآخر خطاباً يسعى إلى تحقيقه مثلما يسعى هو إلى ذلك.

إن مصداقية خطاب ما تكمن في قدرته على استيعاب مفردات الواقع الإنساني،ومرونته في التعامل معها،وتمكنه من إشباع متطلباتها الإشباع السليم والمعقول،

وليس مجرد الوقوف عند هذه المفردات من هذا الخطاب أو ذاك بسبب جماليتها أو رومانسيتها أو الصورة البراقة لها أو غيرها من المواصفات.

إذا استطاع السياسي الوصول إلى هذا المستوى من التفكير،عندها يمكن أن يكون قد احتوى الآخر بمرونته وشموليته وأصالته، وليس بتعصبه أو نرجسية خطابه وما ينتج عن ذلك من أساليب قمع الآخر واستلابه.

تنويه واعتذار

سقط سهواً ولأسباب فنية طباعية عدد من الإحصاءات الواردة في مقالة (الحرمان العراقي :رؤية وأرقام) للكاتب (علي كاظم الشمري) المنشورة في هذه الصفحة في العدد ١٣٢ المؤرخ في ٢٩/٥/٢٠٠٤م ، وعلى النحو الآتي :

إن (٥٠٪) من الدول التي تعاني من الحرمان الاجتماعي هي دول عربية وأفريقية.

تبلغ نسبة الفقر في المجتمع العراقي (٦٠٪) حسب إحصاءات الأمم المتحدة .

النمط (المتوسط) من فئة الفقر تبلغ نسبته في العراق (٢٠٪)

النمط (الضعيف) من فئة الفقر تبلغ نسبته في العراق (٢٠٪)

النمط (الضعيف جداً) من فئة الفقر تبلغ نسبته في العراق (٢٠٪)

تبلغ نسبة النقص في قطاعي التربية والتعليم في العراق (٥٠٪) .

كما سقطت سهواً وفي العدد نفسه أرقام سنوات الميلاد في التحقيق المعنون (العنوسة:هاجس نفسي أم ظاهرة نفسية؟!) للكاتبة (نادية صفر البياتي)،اذ تراوحت مواليد النساء اللاتي جرى مقابلتهن بين العامين (١٩٥٤- ١٩٧٠) م .

لذلك اقتضى التنويه والاعتذار للكاتبين وللقراء الكرام .

حوارات

ستقوم هذه الصفحة بفتح حوارات في ميادين علم النفس المختلفة،في مسارين: الأول: يخص الواقع الأكاديمي للعلوم النفسية في الجامعات العراقية الثاني: يستهدف إشاعة الثقافة النفسية في المجتمع العراقي.

سيكون الموضوع الأول المطروح للحوار هو:

(مناهج أقسام علم النفس في الجامعات العراقية:هل هي بمستوى مثيلاتها في الجامعات العربية والعالمية؟ وما هي سبل الارتقاء بها)

ندعو الأساتذة الأفاضل إبداء الرأي في هذا الموضوع.وسنقوم بعقد ندوة حوار مصغرة ندعو لها ممثلين من وزارة التعليم العالي وبعض الجامعات العراقية.

دعوة للنشر

ترجو هذه الصفحة من أقسام علم النفس،والعلوم التربوية والنفسية،ومراكز البحوث في الجامعات العراقية،تزويدها بأخبارهم العلمية بما فيها الندوات والمؤتمرات التي ينوون إقامتها،ونشاطات الاختصاصيين في علم النفس.

كما إننا نرحب بنشر الموضوعات ذات الطبيعة التحليلية الرصينة،لا سيما تلك المتعلقة بالظواهر السلبية في المجتمع العراقي بشكل عام،ومجتمعات المحافظات بشكل خاص،عبر تحقيقات صحفية واستطلاعات رأي. ويتم إرسال الموضوعات على عنوان الجمعية: (مجمع باب المعظم/ كلية الآداب/ جامعة بغداد / مبنى وحدة الإرشاد التربوي والنفسي) أو على العنوان الإلكتروني للجمعية :

iraqipa@hotmail.com